

مفتاح السعادة

المؤلف: الدكتور/أحمد محمد زين المتأowi

التاريخ: 10/12/2016

وما يعلم جنود ربك إلا هو..

عندما يريد الله أمراً يسخر له ما يشاء من مخلوقاته..

يظن المرء أن الأمر في غاية الصعوبة.. فإذا بأقل مخلوق لله ينهي المهمة!!

أيها السادة.. إنه الله.. وكفى..

فرب صدفة خير من ألف ميعاد، ورب عثرة خير من ألف قفزة..

عثرة في حفرة ارتفت ببطل قصتنا من درك مادي سحيق إلى فلك نوراني شفيف..

لقد تفوقت حفرة صغيرة على منطق الكتب والمراجع وتراث الخبرة والتجارب لتكون سبباً في تغيير مسار حياة بطل قصتنا هذه!!

إنه مارك شليفر أستاذ علم الصحافة الأمريكي بجامعة نيويورك

على الرغم من انتتمائه إلى أسرة مسيحية كاثوليكية، فإنه لم يكن ملتزماً بدين معين.. ففي فترة من فترات حياته كان يعمل في المغرب مراسلاً للإذاعة الأمريكية، ولعدد من المجلات في نيويورك.. سخر له الله تعالى حفرة هناك كانت سبباً في إسلامه.. قد يبدو الأمر في غاية الغرابة لكن يجب ألا ننسى أن الله تعالى يضع سرّه في أضعف خلقه.. وبهدي إليه من يشاء كيف يشاء سبحانه

تحدث مارك عن ذلك في إطار حديثه عن إقامته في المغرب فقال: "الفترة التي قضيتها في المغرب كانت تمثل مفتاح السعادة بالنسبة إلي ولأسرتي.. حقيقة لقد رأيت هناك وأقل مرة في حياتي عالماً جديداً يختلف كلية عن العالم المادي الذي تركته ورأي في الولايات المتحدة الأمريكية.. ما لمسته عن قرب من جمال في تلك الديار، وما وجدته من روعة في السلوك الإسلامي شدني بقوة وجذبني نحو شريعة الحق".

استرسل مارك في حديثه وهو يذكر -في إعجاب- موقفاً حدث له في المغرب عندما كان يرقد طريح فراش المرض فقال: أصبحت ذات مرة بعنة الزلمتني الفراش.. انبعثت آنذاك بمقدم العشرات من الجيران والمعارف لزيارتي والاطمئنان على صحتي.. كان كل منهم يحاول جاهداً وفي منتهى الصدق والإخلاص أن يصنع لي شيئاً.. حقيقة أنسنتي الدهشة مرارة المرض.. كيف لا وقد فوجئت بسلوك إنساني نبيل لم أجد له نظيراً في بلدي الأم، حيث الجميع يهتمون فقط بأنفسهم، إذ إن الطابع المادي البحث للحياة هناك صبغ الناس بصبغة أناانية شرسة جعلتهم مجرد آلات باردة خالية من المشاعر، ما جعلهم لا يكترون أبنته بما يصيب الآخرين.. وهناك -في الولايات المتحدة- يكون المرء محظوظاً للغاية إذاحظى بمساعدة من أحد أو إذا زاره أهله خلال فترة مرضه، أو حتى إذا سألا عنـه مجرد سؤال.. وكانت دهشتي الكبيرة حينما سمعت إجابتهم عن سؤالي لهم عن الدافع الذي حملهم على ما فعلوه من أجلي دون مقابل؟!

فأجابوا جميـعاً: إنـا لم نفعـل إـلا ما فـرضـه عـلـيـنـا دـيـنـنـا إـسـلـامـيـاـ حـنـيفـاـ، وـما أـمـرـنـا بـه رـسـوـلـنـا الـكـرـيـمـ سـيـدـنـا مـحـمـدـ صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ.

أضاف مارك في مزيد من الإعجاب إلى الموقف السابق موقفاً آخر تعرض له في المغرب خرجت لأقل مرة إلى سوق شعبي بمدينة الرباط.. تعرّفت قدمي في حفرة صغيرة فسقطت على الأرض.. في اللحظة ذاتها التي ارتطم فيها جسدي بالأرض تدافع نحو عدد من المغاربة وهو ينشدون مساعدتي على النهوض.. كانوا يسألونني في لفحة وإشراق وقد ارتسمت على وجوههم دلائل القلق -عما إذا كنت قد أصبحت بسوء!!

استطرد مارك في حديثه قائلاً: "بعد هذا الموقف الذي تعرضت له دخلت في مناقشات طويلة وواسعة مع العشرات من علماء الإسلام.. تعلّمت من تلك المناقشات الكثير من أمور الإسلام ما جعل إعجابي به يزداد يوماً بعد يوم.. شيئاً فشيئاً ومع مرور الوقت وجدت كلاً من عقلي وقلبي يكادان يفيضان بعقيدة التوحيد.. انكبت بعدها دروس في شغف ترجمة لمعاني القرآن الكريم.. وما أن استوّعت بعضاً من معاني الآيات القرآنية الكريمة حتى وجدت نفسي تتوجه إلى الله تعالى راجية منه عز وجل الهدى إلى الطريق المستقيم".

صمت مارك هنئه وسرح ببصره بعيداً ثم أضاف وهو يهز رأسه في ثقة ممزوجة بسرور من حصل على أعظم جائزة في حياته قال:

وبينما أنا أقلب في خشوع صفحات القرآن الكريم إذ بي أجد نفسي مستغرقاً في قراءة تفسير الآيتين الكريمتين التاليتين:

"لَا ثُرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدِرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَبِيرُ" (103) قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعاليها وما أنا عاليكم بحفيظ (104)" (الأنعام).

وما أن أكملت قراءتي لتفسير الآيتين السابقتين حتى وجدت نفسي غارقاً وسط فيوض من الدموع.. نعم كانت الدموع تنهمر من عيني بلا توقف.. أيقنت حينذاك أن هذه إشارة صريحة من الله عز وجل ترشدني إلى أن أسرع الخطى نحو الدخول في دينه الحنيف، واللهم بركب الموحدين.. استجابت سريعاً للنداء؛ فحزمت حقائي على الفور ثم سافرت إلى أمريكا حيث أشهرت إسلامي أنا وزوجتي ولدي بالمسجد الكبير في نيويورك

في خاتمة هذه القصة لا نملك إلا أن نردد بقلوبنا قبل ألسنتنا.. سبحان الله!!

سبحان الله تعالى الذي قيض لبطل قصتنا مارك شليفر حفرة صغيرة انتشلته من حفرة المادة الآسنة وسمت به عالياً ليدور في فلك نوراني شفيف..

حفرة تعثر فيها بعثة وسقط على الأرض فعثر عبرها على جوهرة الحق التي سمت بنفسه عالياً لتحلق بها إلى ما وراء الغيموم.. فحينما يشير إليك الله بالنور.. اتبعه.. ولو بخطوة واحدة..

حينما يضع في طريقك عالمة.. اتبعها.. اغتنمها..

خطوة واحدة منك نحو الله.. ستتبعها خطوات من الله إليك..

اسأل الله الهدية.. فبالله نهتدي إلى الله

المصادر:

ابن علي، أبو إسلام أحمد (2008): عادوا إلى الفطرة؛ مكتبة صيد الفوائد الإلكترونية

جمعية النجاة الخيرية؛ سلسلة قصص مشاهير المهددين (29): أستاذ الصحافة الأمريكية.. عبد الله شليفر

عبد الصمد، محمد كامل (1995): الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء؛ ثلاثة أجزاء؛ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية للنشر

فارس، نايف منير (2010): علماء ومشاهير أسلموا؛ الكويت: دار ابن حزم